ا مد لله ربِّ العالمين، خلق الإنسان فسوَّاه، خلقه بيديه ليظهر فيه عظيم قدرته، وخلق للإنسان كل الأشياء الظاهرة والباطنة في أرضه وسمائه ليتجلى على الإنسان بجميع نعمه، فيكون له عزَّ وجلَّ من الشاكرين، وقد وعد الشاكرين سبحانه وتعالى بالمزيد من فضله: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لازِيدَنَّكُمْ) (٧الرعد).

سبحانه . سبحانه، ما أوجد شيئاً إلا كمة إلهية عليَّة، جعل سرَّها في أكمل الكتب السماوية وهو القرآن الكريم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنيٌّ بذاته وصفاته عن جميع كائناته، لا يحتاج في عزّته إلى تسبيح المسبحين، ولا عبادة العابدين، ولا ينتقص من كمال قدرته فجور الفاجرين ولا كُفر الكافرين، وإنما الأمر كما قال في كتابه ونوره المبين: (مَنْ عَمِلَ صَا ِ ًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (١٥الجاثية). وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، وصفيُّه من خلقه وخليلُه، أبرزه الله عزَّ وجلَّ بعنايته، وجعل معه معاليم هدايته، وجعله بعد تعلميه له أستاذاً للبشرية كلها ليكشف لهم عن جمال الله وكمال الله جلَّ في علاه.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الذي إطاعته عين إطاعة الله: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله) (٨٠النساء)، ومخالفته إعلان حربٍ على من خالفه من الله: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٦٣النور). صلَّى الله عليه وعلى آله الذين ساروا على منواله، وعلى أصحابه الذين شاركوه في تبليغ رسالة الله، وأعانوه على نشر كتاب الله، وخيار الأتباع من بعدهم إلى يوم الدِّين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين. أيها الأحبة جماعة المؤمنين:

أعطى الله عزَّ وجلَّ نبيَّكم المبارك صلَّى الله عليه وسلَّم بصيرةً نورانية، قال فيها: (جُليتْ لي الأرض عياناً في كفِّي هذا)[1]، فرأى كلَّ شيء سيكون في أمته إلى يوم القيامة، وعندما نظر إلى الزمن الذي نحن فيه، وما نعانيه أجمعين في هذا العصر والأوان، بيَّن الداء ووصف الدواء، وقال صلَّى الله عليه وسلَّم في حديثه الجامع الذي رواه الإمام التُرمذي عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ وكرَّم الله وجهه:

(ألا إنها ستكون فتنٌ كقطع الليل المظلم، قالوا: وما المخرج منها يا رسول الله؟، قال: كتاب الله تعالى؛ فيه نبأ ما قبلكم، وفيه خبر ما بعدكم، وفيه حُكم ما بينكم، وهو الجَدُّ ليس بالهزل، وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ولا يخلق – أي: يبلى – مع كثرة الرد – أي: التكرار. من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه دعا إلى صراطٍ مستقيم، ومَنْ تركه مِنْ جبار قسمه الله عزَّ وجلَّ).

أيها الأحبة جماعة المؤمنين: خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان وسوَّاه، وجعل لكل عُضوٍ من أعضائه وظيفة إلهية وإنسانية قدَّرها الله جلَّ في عُلاه، وقدَّر للإنسان أن يعيش في جماعة، ولا يستطيع أن يعيش بمفرده أو في خلوةٍ أو عُزلة.

وقدَّر الله عزَّ وجلَّ الأمور التي إذا سار عليها الإنسان في حياته كان جسمه كله في عافية وصحة، وكان مجتمعه في أمنٍ ورخاءٍ وهناءٍ ويسر، وجعل ذلك كله في كتاب: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٤٢فصلت)، وأُبسّط لكم الأمر:

١

- ١ - خطبة الجمعة بمسجد الرحمن– مدينة ٦ أكتوبر – ٢٠١٥/١١/٢٠ الموافق ٧ صفر ١٤٣٧ هـ

إذا اشترى الإنسان منا سيارة، وأراد – بعقله وحُسن تفكيره – أن تستمر معه إلى وقتٍ طويل ولا تتعرض للأعطال، يتَّبع الكتاب الذي يخرجه مصنع هذه السيارة، ويقولون عنه الكتالوج، فلا يصنع أمراً بها إلا بالرجوع إلى توكيلها، أو الجهة المخصصة بتصنيعها أو بيعها، فتعيش معه إلى ما شاء الله. هكذا الأمر – ولله ا كمة البالغة، ولله المثل الأعلى، خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان لرحلة معينةٍ في زمن قدَّره القدير عزَّ وجلَّ، هذا الزمن مهما يطول في نظرنا يكون قصيراً جداً بمجرد خروجنا من هذه ا ياة الدنيا.

نوحٌ نبيُّ الله؛ عاش حوالي ألفاً ومائتي عام، وعند خروجه من الدنيا سألته الملائكة الكرام: (يا نوح، كيف وجدت الدنيا؟ قال: كبيتٍ له بابان، دخلتُ من باب وخرجت من الباب الآخر). وينبئنا القرآن أن الكافرين – حتى الذين عمَّروا في الأرض آلاف السنين – عندما يستوقفهم بين يديه ربُّ العالمين يوم الدِّين ويقول لهم: (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الارْضِ عَدَدَ سِنِينَ) (١١٢المؤمنون)، بعضهم يقول: (لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ) (١١٣المؤمنون)، وبعضهم يقول: لبثنا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا، وبعضهم يقسم بأغلظ الأيمان: أنه ما عاش إلا ساعة واحدة: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) (٥٥الروم).

أراد الله عزَّ وجلَّ وهو يحبُّنا – وأنبأ عن ذلك في كتاب قدرته، فقال عنا جماعة المؤمنين: (إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٢٢٢البقرة) – فجاءنا بكتاب جامعٍ لمنافع الدنيا وصحَّة الأبدان وصلاح المجتمعات والسعادة العُظمى يوم لقاء الرحمن في يوم الدين إن شاء الله، فبين الكيفية الصحيحة التي إذا سار عليها الإنسان كان في حياته في حياةٍ طيبة، وكان في الآخرة في فوزٍ وفلاح ونجاح، وأقرَّ هذا القانون الرباني وقال فيه ربُّ العزَّة عزَّ وجلَّ: (مَنْ عَمِلَ صَا ِ ًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)، هذا في الدنيا، أما في الآخرة: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٩٧النحل).

كيف نمشي بهذا الجسم؟، كيف نُطعم هذا الجسم؟، كيف نُنيم هذا الجسم؟، كيف نجلس بهذا الجسم؟، كيف نستخدم حواسُّ هذا الجسم؟؛ البصر والأذن واللسان والفرج والبطن وغيرها، كل هذه الأشياء وصفها ربُّ العزَّة عزَّ وجلَّ في القرآن، وحتى لا نظن أن في تنفيذها إعجازاً أو غرابة أرسل إلينا رسولاً كريماً، جعله نموذجاً يُنفِّذ ما طلبه منا في القرآن لنمشي على هُداه، ونتأسى بحركاته وسكناته ومسعاه، ونقلده في كل أمورنا في هذه ا ياة، وقال لنا أجمعين في شأنه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا) (٢١الأحزاب).

فإذا تعب الإنسان من أمرٍ في دنياه يُراجع نفسه، وينظر ما تركه من أمرٍ أمره به الله في كتاب الله، أو ما خالف في عمله سنة حبيب الله ومصطفاه، يرجع فوراً إلى ا ال الطيب الذي وصفه لنا الله، لأن المؤمنين حياتهم طيبةً إذا اتقوا الله وكانوا في جوار الله متأسين بحبيبه ومصطفاه على الدوام.

دخل عمرو بن العاص ﷺ إلى مصر فاتحاً، وأحاط ومعه جنده – وكانوا أربعة آلاف جندي – بحصن بابليون في موقع القاهرة الآن، واستمر ا صار لمدة ستة أشهر، وجلس القادة يتباحثون عن سرِّ هذا التأخر في الفتح، ولم يكن ذلك عهد الله مع المؤمنين، فإنهم كانوا ينتصرون دائماً – مع قلة عددهم وعُددهم – في أقل من لمح البصر

- ٢ - خطبة الجمعة بمسجد الرحمن– مدينة ٦ أكتوبر – ٢٠١٥/١١/٢٠ الموافق ٧ صفر ١٤٣٧ هـ

على الكافرين – مع كثرة جموعهم وشدة أسلحتهم وعتادهم.

فلما راجعوا أنفسهم على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وجدوا أنهم قصَّروا في أمرٍ ربما لا يخطر لنا على بال!!، قالوا: لقد نسينا استخدام السواك الذي أمرنا به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم!!، فاستخدموا السواك، نظر القوم من فوق الأسوار فقالوا: إن المسلمين جاءهم مددٌ يأكلون الأخشاب، وإذا كنا لم نقدر على هؤلاء، فكيف نستطيع أن نتغلب على من يأكلون الأخشاب؟!!، يا قوم، هيا سلمُّوا واستسلموا. فاستسلم أهل ا صن جميعاً بعد تنفيذ سُنَّةٍ كانوا قد تركوها من سُنن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

هكذا كان أصحاب النبي، كان الرجل منهم يقول: لو استعصت عليَّ دابتي، أو لم تطعني زوجتي، أنظر في أمري؛ ماذا عساي تركت سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، لأن الإنسان لو مشى على هدي كتاب الله، وتمسَّك بسنة حبيب الله ومصطفاه، فإن الله يُسخِّر له من السماوات ومن في الأرض جميعاً بقدرة من يقول للشيء كن فيكون، إسمع إلى قرار الله وهو يقول لنا أجمعين: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) (١٣لقمان). كل شيءٍ في السماوات وفي الأرض مسخَّرٌ للإنسان إذا كان الإنسان مطيعاً ضرة الرحمن ومتبعاً للنبي العدنان صلوات ربي وتسليماته عليه.

مشى على ذلك أصحاب النبي، فلم يكن لديهم مشكلات صحية، ولا في مجتمعاتهم مشكلات قضائية، ولذلك عندما أرسل إليه ملك مصر – المقوقس – الطبيب ردَّه ا بيب وقال: (نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع)[٢] – فمن أين يأتينا المرض.

المدينة المنورة وما جاورها لم يكن فيها وحدة صحية ولا مستشفى، وإنما كان الإستشفاء من كتاب الله وباتباع التعاليم التي أنزلها الله. جعل الله عزَّ وجلَّ الطبَّ كله في كلمتين أنزلها في كتابه الكريم: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا) (٣١الأعراف). ثمانين في المائة من الأمراض سببها الإسراف في الطعام، وسببها النهمة في الشراب الذي نهى عنه الكريم الوهاب عزَّ وجلَّ.

وجلسوا في المدينة لمدة عام بعد أن تولي أبو بكر الخلافة بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى، وعيَّن لهم عمر قاضياً للمسلمين بكل درجات التحاكم، ولم يكن له حاجباً أو سكرتيراً، أو قلم محضرين أو حتى مدافعين ومحامين، وكان الراتب يُعطى كل عام، وبعد إنقضاء عام في هذه المهنة استدعاه الخليفة ليعطيه راتبه، فقال: لا حق لي فيه يا خليفة رسول الله، قال: ولِمْ؟، قال: لم تُعرض عليَّ قضية واحدة في خلال هذا العام، قال: ولِمْ؟ قال: (إن قوماً آمنوا برِبِّهم، وصدَّقوا بنبيِّهم، وجعلوا كتاب الله حَكَماً بينهم، لا يحتاجون إلى قاضي يحكم بينهم).

عملوا جميعاً بقول الله: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِين) (١٤٧ جر). جهاز المناعة في الدولة الإسلامية كان كل همِّه المناعة القلبية من ا لقد وا سد، والغِلّ والكُره، والشح والأثرة، والأنانية وحب الذات، وغيرها من الصفات التي لا ينبغي أن تكون في مسلمٍ خالصِ الوجه لله عزَّ وجلَّ.

فلما شُفِيُوا من هذه الصفات، أصبحوا كما قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب

[٢] السيرة ا لمبية، و (سيدنا مُحَمَّد) للشيخ رشيد رضا.

لأخيه ما يحب لنفسه)[٣]. حتى أن رجلاً منهم ذهب إلى أخيه يطلب منه قرضاً لشدةٍ وقع فيها، فإذا بأخيه يبكي، قال: لم تبكِ؟!!، قال: لأني لم أشعر بحالتك حتى جئت وشكوت إليَّ، وقد سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلَّم: (لا يؤمن أحدكم وقد بات شبعان وجاره جائع ولا يشعر به)[٤].

قال صلى الله عليه وسلَّم: (تركتُ فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي)[٥]، أو كما قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة).

الخطبة الثانية:

ا مد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بهداه، وملأ قلوبنا بتقواه، وجعلنا من عباده المسلمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُنجِّي قائلها من المهالك في الدنيا وتجعله من السعداء يوم الدين. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، الصادق الوعد الأمين. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وارزقنا هداه، ووفقنا للعمل بشرعه في الدنيا يا الله، وارزقنا جواره وشفاعته أجمعين يوم الدين.

أيها الأحبة جماعة المؤمنين:

من أراد أن يعيش في الدنيا في أرغد عيش وأسعد حالٍ وأهنأ بال، فعليه أن لا يعمل عملاً إلا إذا سأل القرآن عن صحة هذا العمل، إن كان حلالاً سارع في تنفيذه، وإن كان حراماً سارع في الإنتهاء عنه، ولا يُخضع الفتوى لهواه، ولا يسمح لنفسه في أن يُفتي بغير علمٍ في كتاب الله جلَّ في علاه، وإن كان لا يعرف فليعمل بقول الله: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (٤٣النحل).

يسأل العلماء أهل خشية الله الذين يراقبون الله، ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، وهم الذين حثنا على الإتصال بهم وسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فقال: (عليكم بالجماعة)، أي: الذين تمسكوا برأي الجماعة الإسلامية، ما أجمع عليه علماء المسلمين، ما أجمع عليه العلماء العاملين، (عليكم بالجماعة، ومن شذَّ فهو في النار)[٦].

الذي شذَّ في فتواه، أو شذ في رأيٍ يخالف فيه إجماع المسلمين لا نسمع له، ولا نُلقي له أذناً صاغية، ولا نتناقش حتى في كلامه، ولا نفتح حواراً معه، حتى نعمل بقول الله أجمعين: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا) (١٠٣آل عمران).

إن الأمر الشديد الذي أصاب المسلمين في زماننا: كثرة المفتين بغير علم، يفتون على حسب أهوائهم، إن كان يريد منصباً سياسياً وظَّف الدِّين للحصول على هذا المنصب، إن كان يريد عرضاً دنيوياً سيَّر الدِّين على ما

[٣] البخاري ومسلم عن أنس ﷺ.

[٤] روى الطبراني عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به)، وروى ا اكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه).

[٥] أخرج البزَّار واللفظ له، والعُقيلي وابن عدي والدارقطني وا اكم عن أبي هُرَيرة ﷺ: (إِنِّي قد خَلَّفتُ فيكم اثنين، لن تضلُّوا بعدهما أبدًا: كتاب الله، وسُنتي، ولن يتفرَّقَا حتى يردَا عليَّ ا وض).

[٦] روى الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي، أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ).

يحب لينال غرضه الدنيئ الدنيوي، إن كان يريد أى أمرٍ من أمور الدنيا الفانية، يحوّل الفتوى ويلوي الآيات والأحاديث ليُصدر فتوى تُبيح له ما أراد.

هؤلاء لا ينبغي أن نسألهم، ولا نتعرض حتى لسماع كلامهم، فقد قيل: (لا تسأل إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله عزَّ وجلَّ)[٧]. الأمين على كتاب الله والأمين على سنة رسول الله هو الذي يقول ا ق ولا يخشى إلا الله جلَّ في علاه، ولا يقع ولا يخوض في أعراض العلماء السابقين أو المعاصرين.

فقد قال شيخنا الشعراوي رحمة الله عليه: (إذا رأيت عالماً يسُبُّ غيره من العلماء فلا تأخذ منه علماً فإنه جاهل)، لأنه لو كان عالماً ما سبَّ عالماً مثله، وإنما يذكره بأحسن ما عنده، لأن هذه أخلاق الإسلام التي علَّمها لنا كتاب ربِّ العالمين، وسار عليها نبيُّنا المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

عباد الله جماعة المؤمنين:

اسمعوا بآذان قلوبكم إلى حديث نبيّنا الكريم، لعلنا نعمل به أجمعين حيث يقول: (إذا أحب الله عبداً فقهه في الدين)[٨]. فعليكم بالتفقه في الدين من أهل العلم، أهل الوسطية الذين قال فيهم ربُّ العالمين: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (١٤٣البقرة).

اللهم فقهنا في ديننا، وعلمنا من العلم ما ينفعنا، وأعنَّا على العمل بما علمنا، وارزقنا في قلوبنا خشيتك، واجعلنا من أهل مراقبتك في الليل والنهار، في السرِّ والعلن.

اللهم أرنا ا قَّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل زاهقاً وهالكاً وارزقنا اجتنابه.

اللهم وفقنا أجمعين لعمل الخيرات، والمحافظة على الطاعات، واستباق النوافل والقربات، واجعلنا ممن تتوفاهم مسلمين وتُلحقهم بالصا ين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات يا ربَّ العالمين، اللهم احفظ مصر وأهلها من مكر الماكرين؛ من أهل أمريكا وإنجلترا واليهود ومن عاونهم أجمعين، وأرسل عليهم نقمتك وعذابك، ودمِّرهم تدميراً يا أرحم الراحمين.

اللهم تولَّ أمورنا، ولا تكلنا إلى سواك طرفة عينٍ ولا أقل، وكثِّر خيرنا، واجعل خيراتنا مباركات، واغننا بخيرك وبرِّك عن جميع المساعدات،اللهم وفق ولاة أمورنا لما تحبُّ وترضى، واجعلهم بشريعتك عاملين، وبسنة حبيبك آخذين، وارزقهم البطانة الصا ة، واحفظهم من البطانة السيئة، يا أكرم الأكرمين.

عباد الله، اتقوا الله: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (٩٠النحل). اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأشكروه على نعمه يزدكم، وأقم الصلاة

[٧] أخرج البيهقي عن عمر ﷺ قال: (اعتزل ما يؤذيك ، وعليك بالخليل الصالح ، وقل ما تجده ، وشاور في أمرك الذين يخافون الله).

[٨] روى البزار عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: (إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين)، وروى البيهقي عن أنس ﷺ: (إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين ، وزهده في الدنيا ، وبصره عيوبه).